199 - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين .

- 200 - وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ با إنه سميع عليم .

قال ابن عباس { خذ العفو } يعني خذ ما عفا لك من أموالهم وما أتوك به من شيء فخذه وكان هذا قبل أن تنزل براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها وما انتهت إليه الصدقات وقال الضحاك عن ابن عباس : أنفق الفضل وقال عبد الرحمن بن أسلم : أمره ا بالعفو والصفح عن المشركين عشر سنين ثم أمره بالغلظة عليهم واختار هذا القول ابن جرير وقال غير واحد في قوله تعالى : { خذ العفو } قال : من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسس وفي صحيح البخاري عن عبد ا بن الزبير قال : إنما أنزل { خذ العفو } من أخلاق الناس . وفي رواية عن أبي الزبير : { خذ العفو } قال : من أخلاق الناس وا لآخذنه منهم ما صحبتهم وهذا أشهر الأقوال ويشهد له ما روي عن أبي قال : لما أنزل ا D على نبيه محمد صلى ا عليه وسلّم { خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين } قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : " ما هذا يا جبريل ؟ " قال : إن ا أمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك (رواه ابن جرير وابن أبي حاتم) . وقال الإمام أحمد عن عقبة بن عامر Bه قال : لقيت رسول ا صلى ا عليه وسلّم فابتدأته فأخذت بيده فقلت : يا رسول ا أخبرني بفواضل الأعمال فقال : " يا عقبة صل من قطعك وأعط من حرمك وأعرض عمن ظلمك " .

وقال البخاري قوله : { خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين } العرف : المعروف (قول البخاري العرف : المعروف نص عليه عروة السدي وقتادة وابن جرير) . عن ابن عباس من وكان (قيس بن الحر) أخيه ابن على فنزل (حذيفة بن حصن بن عيينة) قدم : قال هماB النفر الذين يدنيهم عمر وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاوراته كهولا كانوا أو شبانا فقال عيينة لابن أخيه : يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه قال : سأستأذن لك عليه قال ابن عباس : فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر فلما دخل عليه قال : هي يا ابن الخطاب فوا ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل فغضب عمر حتى هم أن يوقع به فقال له الحر : يا أمير المؤمنين إن ا تعالى قال لنبيه صلى ا عليه وسلّم : { خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين } وإن هذا من الجاهلين وا ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقافا عند كتاب ا D (أخرجه البخاري في صحيحه) .

وقال ابن أبي حاتم عن عبد ا بن نافع : أن (سالم بن عبد ا بن عمر) مر على عير لأهل الشام وفيها جرس فقال : إن هذا منهي عنه فقالوا : نحن أعلم بهذا منك إنما يكره الجلجل

الكبير فأما مثل هذا فلا بأس به فسكت سالم وقال : { وأعرض عن الجاهلين } وقال ابن جرير : امر ا نبيه صلى ا عليه وسلّم أن يأمر عباده بالمعروف ويدخل في ذلك جميع الطاعات وبالإعراض عن الجاهلين وذلك وإن كان أمرا لنبيه صلى ا عليه وسلّم فإنه تأديب لخلقه باحتمال من ظلمهم واعتدى عليهم لا بالإعراض عمن جهل الحق الواجب من حق ا ولا بالصفح عمن كفر با وجهل وحدانيته وهو للمسلمين حرب . وقال قتادة في الآية : هذه أخلاق أمر ا بها نبيه صلى ا عليه وسلّم ودله عليها . وقد أخذ بعض الحكماء هذا المعنى فسكبه في بيتين فيهما جناس فقال : .

خذ العفو وأمر بعرف كما ... أمرت وأعرض عن الجاهلين .

ولن في الكلام لكل الأنام ... فمستحسن من ذوي الجاه لين .

وقال بعض العلماء : الناس رجلان : فرجل محسن فخذ ما عفا لك من إحسانه ولا تكلفه فوق طاقته ولا ما يحرجه وإما مسيء فمره بالمعروف فإن تمادى على ضلاله واستعصى عليك واستمر في جهله فأعرض عنه فلعل ذلك أن يرد كيده .

كما قال تعالى : { ادفع بالتي هي أحسن نحن أعلم بما يصفون } وقال تعالى : { ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم } وقال في هذه السورة الكريمة أيضا : { وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ با إنه سميع عليم } فهذه الآيات الثلاث في الأعراف والمؤمنون وحم السجدة لا رابع لهن فإنه تعالى يرشد فيهن إلى معاملة العاصي من الإنس بالمعروف بالتي هي أحسن فإن ذلك يكفه عما هو فيه من التمرد بإذنه تعالى ولهذا قال : { فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم } ثم يرشد تعالى إلى الاستعاذة به من شيطان الجان فإنه لا يكفه عنك الإحسان وإنما يريد هلاكك ودمارك بالكلية فإنه عدو مبين لك ولأبيك من قبلك . قال ابن جرير في تفسير قوله : { وإما ينزغنك من الشيطان نزغ } وإما يغضبنك من الشيطان غضب يصدك عن الإعراض عن الجاهل ويحملك على مجازاته { فاستعذ با } يقول : فاستجر با من نزغه { إنه سميع عليم } سميع لجهل الجاهل عليك والاستعاذة به من نزغه ولغير ذلك من كلام خلقه لا يخفى عليه منه شيء عليم بما يذهب عنك نزغ الشيطان وغير ذلك من أمور خلقه . وقد تقدم في أول الاستعاذة حديث الرجلين اللذين تسابا بحضرة النبي صلى ا عليه وسلّم فغضب أحدهما فقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : " إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد : أعوذ با من الشيطان الرجيم " الحديث . وأصل النزغ : الفساد إما بالغضب أو غيره قال ا تعالى : { وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم } والعياذ : الالتجاء والاستناد والاستجارة من الشر وأما الملاذ ففي طلب الخير كما قال الحسن بن هانئ : .

يا من ألوذ به فيما أؤمله ... ومن أعوذ به مما أحاذره .

لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ... ولا يهيضون عظما أنت جابره .

وقد قدمنا أحاديث في الاستعاذة في أول التفسير بما أغنى عن إعادته ها هنا